الثّورة التّحريرية في القصّة القصيرة الجزائرية
الظّلال الممتدة لزهور ونيسي أنموذجا

طالبة دكتوراه: إكرام مخفي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب
جامعة مستغانم (الجزائر)

ملخـــــص:

مدونة الدراسة هي مجموعة قصصية بعنوان"الظلال الممتدة" لزهور ونيسي" خطّتها الكاتبة الجزائرية "زهور ونيسي" التي سعت من خلالها إلى إثبات حضور الذات الأنثوية الجزائرية الكاتبة/المبدعة في ساحة الإبداع الأدبي، في فترة حرجة من محطّات الأدب الجزائري الذي لطالما اتهم بقلة النّتاجات الأدبية النّسوية، التي حرمت منالولوج في الساحة الأدبية الإبداعية، إلا أن فكرة التّحدي على مستوى التأليف والنقد المغروس لدى الكاتبة الجزائرية التي ما فتئت تصوّر بالكلمات مرارة الواقع وحالاته. واعتماد أهمّ محور تاريخي يتمثّل في الثّورة، فتحدثت عن كينونة الثورة التحريرية وتجاوزت مجرّد وجودها إلى تحقيق هذا الوجود بمجرياته وسنواته واحصاءاته،كما حاولت تخطيبها بإبراز دلالاتها النّفسية والوجدانية المتنوعة في المتخيل السّردي النسوي الجزائري الحديث.

Abstract:

This study corpus is constitutedfrom a collection of stories entitled "Al Thilal Al Moumtada" by ZhourWannisi who made wrote them with her feminine fingers as challenging task to impose the Algerian women ego as a writer and creato. Algerian literature was accused of sterility and exhaustion in a critical stage of its existence, something that affected feminine authors who were compelled to be away from lights and creative literary scenes. However, senses of defiance deeply ingrained in Algerian women pushed these authors to have their say, impose their creative personae and make their own choices. Regarding the Liberation Revolution, the Algerian feminine authors found an adequate frame to overcome the actual situations of their Algerian counterparts, scrutinize these latter conditions and question them about their diverse psychological and emotional significations within typically fictional and feminine Algerian narratives.

مقدمة:

استطاع الكتّاب الجزائريون أن يعبّروا بأقلامهم عن هموم الوطن ومفارقاته، وأن يستطلعوا عبر إبداعاتهم التي تساير بطريقة أو بأخرى مجريات الواقع التأزم الفردي، والتّمزق العام الذي انسحب على مختلف الأصعدة والمجالات، ولعلّ الفترة الاستعمارية قد كانت زمنا حرجا جدا سجّل العديد من حالات القمع والنهب والتجهيل وغيرها من الممارسات التي لا تمتّ للإنسانية بأي صلة، ولكن بعيدا عن الإعلام الذي حاول التغطية وتسجيل الأحداث، كان الأديب أكثر تماسا مع ما يجري في وطنه من استدمار يندى له الجبين عرقا، فراح يؤلّف ويتخيّل انطلاقا من مادّة جاهزة ودسمة تتمثّل في الواقع المرير.

ولعلّ المرأة الكاتبة /المبدعة قد شاركت في التنفيس عن الويلات والفظائع ولو بالأخيلة والأمكنة المفترضة والشخصيات الورقية، فقد كانت الأم والأخت والمجاهدة والشهيدة، لهذا لا يستغرب الناقد ولا القارئ أن تبدع الكتابة النّسوية في مجال الدفاع عن الحرية أو الحديث عن الثورة والبطولات، وكفاح المرأة التي لا تفهمها إلا هي، ومن أبرز الأديبات اللواتي استطعن أن يحطن بقصصهن زمن الثورة أو حتى ما كان سابقا لها زمنيا،هي الكاتبة زهور ونيسي، وهو وعي تاريخي يغني القارئ عن البحث في الحيثيات في مواضع كثيرة.

حظيت مجموعتها القصصية باهتمام ملحوظ من قبل القارئ الجزائري، لأنها احتفت بأحداث تاريخية ماضوية لا يمكن لذاكرته أن تتناسها ولو في عموميتها، حيث عبرت عن التفاؤل رغم السواد، وطرحت فكرة النضال وعدم الخضوع للآخر مهما كانت قوته وعدّته وذلكبمتخيّل مزج بين زمن القصة وزمن الثورة،ناهيك عن أزمنة أخرى تعلّقت بالمجتمع والحرية وغيرها من التيمات.

1-تيمة الثورة؛ وثورة الكتابة التاريخيّة:

سبق وأن ذكرنا بأن الكاتبة الجزائرية ألمت بمختلف الجوانب التي تتعلق بالإنسان ماديا ونفسيا، وعالجت عبر أجناس أدبية عديدة منها الشّعر والرواية والقصة بنوعيها قضايا وطنية وتاريخية عديدة في إطار ما يعرف بالرواية التاريخية وصولا إلى المسرحية التاريخية والقصة التاريخية وهكذا، وكلها تسعى إلى "**نشر أخلاقيات خاصة واستعارة العلاقة الخاصة بين التاريخ والماضي، بدلا من تقديم نفسها بوصفها سبيلا للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وبدلا من تكميل التاريخ، فإنها بكلّ بساطة وظفت الماضي لأغراضها الخاصة**"[1]ذلك أنّ الكاتب يشرح ويفسّر المعطيات التاريخية تبعا لبلده وماضيه الثقافي والتاريخي وذلك باعتماد النّصوص، أو التجارب العينية، التي تخصّ محيطه وبيئته وأعرافه وتقاليده.

وقد ظهرت الكتابة التاريخية ذات الانتماء الأدبي حتى تقول حقائق موجودة وأخرى مهملة أو مهمّشة ولكن بأسلوب جميل يطري من جفاف المعلومة التاريخية، فالقارئ لطالما نفر من الإحصاءات، والحقائق المفصّلة والمتبوعة بالسنوات والأحداث المؤرخة، ولكن هذا لا يعني إلغاء قيمة علم التاريخ

وكتبه؛ وإنما هي محاولة تبريرية لما يسمّى بإعادة كتابة التاريخ وقراءته من جديد، هو مسعى جادّ لبعثه ولكن في صورة فنّية تفتح باب التجديد وتغيير مساره ولو على مستوى الخيال.

فقد يتساءل القارئ عن فائدة القصص والرّوايات التاريخية ويغفل عن البعد الفنّ الذي ينجرّ عن فعل التّخييل الذي سيسمو بالمادّة التاريخية إلى أفق رحبة، ويزيد من فرصة التأويل أثناء عملية التّلقي فعليه أن يعرف بأنه لا يمكن للأحداث التي تمّ نسجها أن تكون مفتعلة أو وهمية بل من صلب الحقيقة لا يشوبها أي تشويش أو تحريف على الرغم من أنّ " **خدعة السّرد تُقرض الماضي شكل القصة، وتشرّب أحداث الماضي بالتماسك، والوحدة، والامتلاء، والغلق...التي لا يمكن إلا أن تكون وهمية** "[2] فهذا التّشرب لن يزعزع من ثبات التاريخ كعلم ولن ينقص من مصداقيته بقدر ما سيزيده تأثيرا ورسوخا في ذهن القارئ المتطلع دوما لاستكشاف الحقيقة بنوع من المغايرة والتجديد.

وهذا نوع من التّجديد على مستوى الكتابة السّردية التي ثارت على التقاليد القديمة وأصبحت لها ثورتها المستقلة بدءا من مرحلة التجديد والحداثة وما بعدها، وظهور أجناس أدبية لها خصوصياتها، وبفضل الثّورة كتيمة والمناداة بالحرية انبرى الشعر الحرّ مناديا هو الآخر بالتحرّر من قيود الأوزان والقوافي، التي اعتمدت في القصيدة العمودية القديمة.

وحتى قصيدة النثر التي لم تتقبلها الذائقة الأدبية بسهولة، هذا على مستوى الشّكل، أما المضامين فقد ثارت على الروتين و لم تقبل الواقع كما هو بل تجاوزته بالتخييل والمفارقات التي انفتحت على مضمرات كان ينبغي الخوض فيها وإبرازها لمعالجتها والتفصيل فيها، فما يمكن قوله أن الثورة والثورة التحريرية بخاصة قد تجسّدت كتابيا في الأدب الجزائري إبان الاستعمار وبعده، كما أعطت ملمحا تجديديا آخر قاد الكتّاب الجزائريين إلى اتّباع التيار الذي يثور في شكله ومضمونه على كل ما هو رتيب ينفّر القارئ ويتسبّب في تبرّمه.

فغدت الأعمال الأدبية مسلكا جديدا للغوص في الماضي واستظهار حقائقه المغمورة بخاصة التاريخيّة منها، والتنبّؤ بمستقبل لابد للقارئ أن يتطلّع إليه لأنه ابن الجيل الصّاعد الذي يتعلّم ويعتبر من ذاكرة أجداده السحيقة، رغم كل المستجدات التي تزيد من الجفاء والقطيعة بين وعيه وبين ماضيه وتراثه العريق.

وبفضل هذه الآليات الكتابية الجديدة استطاع مفهوم الثورة أن يرتقي إلى دلالات حضارية ونفسية وغيرها تبتعد عن قوقعتها في مجرد صراع أو عراك بين طرفين متخاصمين بحثا عن السلطة والنفوذ، فآلت إلى تيمة حاضرة لتوجّه الفكرة وفعل الكتابة في الآن نفسه، ولتقول الأنا والآخر أيضا، بالإضافة إلى اعتبارها موجة موجّهة لفئات غاب وعيها بفعل القهر المادي أو النفسي.

وتعتبر الثورة أيضا ذلك الوجود الذي "**يختلط فيه الفكر والخبرة والوعي والممارسة لإنتاج الفاعليّة الثورية**"[3] لهذا فإن الغوص فيها يحتاج إلى إحاطة شاملة في مختلف الأصعدة، ولكن بحثنا اقتصر على

ثورة واضحة البواعث ومحدّدة زمنيا، تحدثت عنها كتب التاريخ، وخاضت في حيثياتها، بل وقدّستها نتاجات أدبية حين اعتبرتها ثورة المعجزات والانتصار الذي آن أوانه رغم الضّعف المادي والعسكري الذي عاشه الشعب الجزائري المقهور أمام جبروت الاستعمار الفرنسي، ولعلّ الثورة التحريرية لا ينبغي أن تكون قضية زائدة يمكن استثناؤها من القصص القصيرة الجزائرية بل هي مضمون يتأتى ليبرز الوطنية ويسخر حقيقة حب الكاتب والبطل وحتى القارئ للجزائر "**ومن أجل ذلك نلفي في ظلّ هذه الثورة لا يكاد يزايل كاتبا من الكتّاب الجزائريين، فمنهم من يؤثّر فيه أشدّ التأثير، ومنهم من يؤثّر فيه تأثيرا عابرا، ولكنّه ثابت ملموس، وممن عايشوا هذه الثّورة** "[4] ومن أبرز الكتّاب الذين أجادوا تصوير هذه المرحلة التاريخية الحساسة – سنوات الثورة الكبرى- وحتى ما بعدها في نتاجهم القصصيّ القاصّة زهور ونيسي حيث أعطت لمفهوم الثورة أبعادا أخرى ومرّرت رسائل أعمق من خلال الشخصيات والأزمنة والأمكنة داخل مجموعة الظّلال الممتدّة، لا لتتصدّر قائمة الإصلاحيين بالجزائر؛ وإنما لتتقول الإنسان والمصير والوطن والحرية والمعاني السّامية التي غيّبتها الدماء والويلات المرتكبة في حق الجزائريين.

كيف لا وهي التي ناضلت وانتمت بفكرها وكيانها إلى الثورة خاصة وأنها كانت مثقفة تحارب بالقلم قبل السلاح وهو ما حظيت به دون غيرها من المجاهدات آنذاك وهذا ما ذكره عبد الحميد مهري في تقديم المدوّنة المدروسة " **وزهور ونيسي كمثقفة مناضلة تنطلق من قناعاتها وتجربتها دون شطط كأنها تحاول أن تحارب السّوء دون إساءة إلى صاحبه وتقوّم المعوجّ في رفق وأناة كأنها تعظ أو كأنها تعلّم فهي تنتصر للمرأة دون تحامل على الرّجل وتقسو على الظّلم بإبراز نضال المضطهدين**"[5].

2- القصّة القصيرة الجزائرية: التعريف والآفاق الجديدة

لا مناص في أن القصّة القصيرةوالجزائرية بخاصة جنس أدبي له خصائصه الفنية المميزة له، ظهرت لتختصر الحجم الذي عرفت به الرواية أو حتى المسرحية، كما وقد جاءت استجابة لطموح الفرد الجزائري الذي ضاق ذرعا من الاستعمار ونادى بالحرية وأمل في تسريع الحصول عليها، وطرد المستعمر، فنفسه لم يعد يتحمّل طول الملاحم وأبياتها المطولة، وأناشيدها التي تقتضي قارئا ذا صبر طويل مدركا لأحداثها الفسيحة، ولعلّ ما "**يهمّ كاتب القصّة القصيرة هو التأثير على القرّاء من خلال الحدث نفسه أكثر من أبطاله، أي بتفرّد المغامرة أكثر من طبيعة المغامر، أي التزامه بالحدث فقارئ القصّة القصيرة مثله في ذلك مثل من يسمعها لا يريد كلاهما الوصف أو التّعليق على ما يشو به أو يفكّر فيه، إنهما يريدان إدراك ما حدث بشكل موجز**"[6]ولهذا يمكن أن نعتبر القارئ دافعا هاما في نجاح رواج هذا الجنس الأدبي لأنّ القراءة تتغلّب على سلطة الكاتب الإبداعية وبها تتمّ عملية الاستهلاك السّليمة للنتاجات الأدبية بعامة والقصة القصيرة بخاصّة.

والقصّة القصيرة لون أدبي له خصائصه ومقوماته الكتابية والفنّية إذ تعتمد على المكوّنات السردية التي تتقاطع فيها أجناس أخرى كالرواية والمسرحية وغيرهما وتتمثّل في الشخصية والزمان والمكان واللغة،

بالإضافة إلى خصائص فنيّة مميّزة لها كالأسلوب الفني والتكثيف والوحدة مع تعّد أنواعها من حيث موضوعاتها فنجد " **القصص القصيرة العاطفية وهناك الثّقافية والكوميدية، والجادة، والمرحة، والحزينة، الموعظة، والمأساوية، والفظة** "[7] وبما أن موضوع الدراسة هو تيمة الثورة وتجلياتها في قصص الكاتبة زهور فلن نفصّل في المكونات السّردية ولا الخصائص الفنية، بل سنتتبّع مختلف التماسات الحاصلة بين الشخصيات والثورة، وطبيعة العلائق العاطفية، وكيفية العودة إلى الماضي بعين الحاضر، لاستشراف المستقبل المبهر للوطن المقهور.

وبما أن القصّة القصيرة الجزائرية قد ظهرت في فترة ما بعد الاستعمار رغم بعض المحاولات إبانه مع أحمد رضا حوحو وأبو العيد دودو، فإنّ لها دور لا يستهان به في تأصيل التراث واستحضار التاريخ الذي مضى لجيل الاستقلال الذي عرف نوعا ما استقرارا وتحرّرا يكاد يفيقه بشكل أو بآخر من غفلة أوشكت ترافقه مدى حياته لولا كفاح الثوار المخلصين للجزائر.

3- تجليات الثورة التحريرية وأبعادها في مجموعة الظلال الممتدّة:

لقد اعتمدت قصص هذه المجموعة السّرد المباشر على غرار القصص الكلاسيكية " **وهي الطريقة الملحمية وعمل الكاتب فيها عمل المؤرّخ الذي يجلس إلى مكتبه ليدوّن التاريخ الظاهر لمجموعة من الشّخصيات حيث يمتزج فيها الوصف الخارجيّ بالتحليل النفسيّ والحوار بومضة الوراء**"[8]وهو ما اتّبعته الكاتبة حيث دوّنت التاريخ ولكن عبر شخصيات افتراضية زاد التخييل السّردي جمالية وتأثيرا، لأن الحقائق التاريخية الثورية بخاصة لو قدّمت كما هي بإحصائها وتفصيلها تصبح العملية اجترارا لا فائدة منه سوى الإعلام بمعلومات تاريخية كانت كتب التاريخ أسبق إلى تقديمها.

ولكن رغم السرد المباشر إلا أن الأسلوب سيميّز نتاج الكاتبة عن المؤرخ وسيتميّز بسمات نوعية تزيد من التّأويل والفنيّة كما سبق وأن ذكرنا، وستقتصر دراستنا على بعض من قصص المجموعة لننتقي القصص التي تحتفي بالثورة، وتكون غنيّة بالمعاني الإصلاحية من وجهة نظر أديبة لها وعيها بالوضع الأيديولوجي والسياسي قبل الثورة وبعد الاستقلال، لأنها تولت مناصب وزارية بفضل حنكتها وثقافتها الواسعة، لذا ستكتب الثورة بالثورة التي عايشتها، وبالوعي السياسي الذي سيجعل من هذه النصوص السّردية نصوصا كاشفة عن وقائع تاريخية ولكن بطريقة مغايرة، ومن منظور نسوي متفرّد.

ولا نحتاج في تحليلنا لهذه القصّة أن نتعرّف على الثورة بقدر الوصول إلى مدى تأثيرها في الكتاب وكتاباتهم، وكيفية استغلالهم لهذا الواقع المرّ في استشراف الفجر الجديد – الاستقلال- للوطن ولعلّ اللافت في هذه المجموعة ومن خلال الإهداء تحديدا هو براعة الكاتبة في دمج صور الحياة الثورية الواقعية مع أبطال القصص القصيرة ونسيجها المتخيّل وقد أهدت العمل إلى بطلين يمكن اعتبارهما الملهمين للكاتبة في نسجها لهذه النصوص السّردية الممتعة "**إلى بطلّي هذه القصّة الواقعية الملحمة.. الأخ المجاهد سي عمّار والأخت المجاهدة زينب وهما ينعمان اليوم بالذّكرى العشرين لحريّة الجزائر.. كل من**

موقعه..وقد كان الموقع واحدا، والظروف واحدة...والهدف الجزائر"[9] وفي هذا النصّ الموازي إنباء بمضمون القصص وبما أن الإهداء موجه لمجاهدين فلا شكّ في أن الموضع هو الثورة في غالب القصص إن لم نقل في كلّها.

4- المرأة والثورة في قصة "الظّلال الممتدّة":

استهلّت المجموعة قصّتها الأولى بالعنوان العام الكلّي وهذا فعل استقطابي يتعمّده الكتّاب لإضفاء نوع من الاندماج بين العام والخاص، والتناغم بينهما أيضا وقصة الظلال الممتدّة تحكي بدورها عن السيدة زينب التي كان لها مع الثورة ذكريات لا تنسى، ورغم تعاقب السنين ومعايشتها لزمن الاستقلال لم تنس الدّماء والشرور التي تسبّب فيه المستعمر إبّان الثورة " **وهي التي عايشت أعراس الدّم والدّموع والعذاب، وشاهدت الموت يخطف، ويغتال ويحصد دون شفقة أو تمييز بن صغير أو كبير، أو بين الإنسان والحيوان والطبيعة...شاهدت ربيع الطّبيعة يشكو من اعتداءات القنابل والمدمّرات نحيب ونواح الشيوخ"** [10]وعتمة هذا الماضي لم تستضئ بنور الاستقلال الذي تنعم فيه لأنه قد قتل في هذه المرأة التفاؤل بغد جميل تنعم فيه بحياة هادئة أو مقمرة.

وقد اعتمدت القصّة تقنية الاسترجاع وذلك بالعودة إلى الماضي/الثورة قبل خمس وعشرين سنة أين فقدت الحياة حلاوتها ونفد الرجال من القرية بسبب الالتحاق بالثّوار، قبل أن يجرف المستعمر كل طاقة القرية الشبابيّة ويبقيها شائخة بلا روح مقاومة، ومن بين الرجال الذين غابوا عن القرية زوج زينب التي حرمت من فئه ولم تجد أمامها سوى الابنين ووالد زوجها تخدمهما، وتخبز لهما الكسرة رغم الحرمان، فقد جابهت ظلم الجبروت المسلّط وكانت سندا للثورة بصبرها وجلدها، ولكن الفزع يصارعها من كلّ جهة فهي تخاف على ابنها البكر الذي صار صورة من أبيه أن يصير ابن الآخر بعد تجنيده أو قد يقتلونه، فالحرمان آت منه رغم تعدّد الكيفيات، هي تقاوم لوحدها الفزع " **وهاهو زوجها يختار الهروب، ويتركها لهذه المصائب...وحموها لا يريد أبدا أن يفيق أو يتكلّم في شيء"** [11].

فزينب تأمل أن يتطوع ابنها للثّوار ويموت في سبيل الوطن لا في سبيل فرنسا "**ولكن قد قالوا أن المجاهدين هذه الأيام أصبحوا لا يقبلون المتطوّعين، لأن عندهم كفاية الكافية من الرّجال، والذي يحتاجونه إنما هو السّلاح ومستلزمات السّلاح"**[12] وأنى لامرأة تعيش في كوخ فقير مثل زينب أن تتطوّع بالسلاح للثوار، فهي تقتات على بقايا الأكل ولا تشبع إلا بعد شبع ولديها ووالد زوجها، وكانت مستعدة للتضحية بأقراطها وبكل غال تملكه في سبيل أن يحمل بكرها السلاح في الصفوف الأولى من جيش التحرير، ولا يمكنها أن تتخيله يقتل إخوانه المسلمين في يوم من الأيام.

وبعد طول تفكير قرّرت زينب التوجه إلى مغارة المجاهدين لإقناع القائد بإلحاق ابنها البكر بالثّوار ولما سلمته نقودا كانت قد جنتها من بيع الأقراط توجهت للقائد قائلة " **اشتروا لولدي بها لباسا عسكريا، ولا بأس أن يسير معكم بدون سلاح، حتى يغنم سلاحه في إحدى المعارك أعطوه سكينا،**

أعطوه قطعة حديد، يحصل بها على سلاحه فقط، لا تتركوه يتجنّد هناك في الجانب الآخر، ضدّكم وضدّ أبيه"[13] هذا دور المرأة إبان الثورة فقد ضحت بالغالي والنفيس لأجل الحرية والكرامة.

فزينب أبت أن يكون ابنها طُعم المستعمر لهدم الوطن الجميل وقتل الأبرياء، قد تحقق حلم هذه المرأة العظيمة ولكن سرعان ما عادت بنا القصة من الاسترجاع إلى الحاضر حين دخل حفيد زينب عليها ببذلته العسكرية فاعتقدت بأنه ابنها متسائلة عن سبب عودته فليس يوم عطلته لكنه أيقظها من حلمها الذي عاد بها إلى الماضي/الثورة الجميل رغم مرارته "**ألا تدرين يا جدّتي ؟ يبدو أنك أصبحت عجوزا حقا؟ إنّه يوم عطلتنا جميعا؟ إن اليوم ذكرى الحرّية يا جدّتي، عشرون سن كاملة قد مرّت على الاستقلال...فكانت، وهي تنتصب واقفة بقامتها اللّطيفة بمحاذاة حفيدها الشّاب، كشجرة سامقة، تمدّ ظلالها على حفيدها وعلى جميع الأحفاد"**[14] وقد تمّ دمج الزمنين من خلال عودة زينب التي أضحت مثال المرأة المكافحة إبان الثورة التحريرية فأنارت زمنها بجهادها وكذا حاضرها الذي سادت فيه الحرّية لكن ظلالها الكامنة ستنعكس على الشباب، وستزرع فيهم حب الوطن وتحافظ على هويتهم التي لن تقتلعها أي رياح مهما كانت قوتها.

هو صوت المرأة الخافت المدوّي والذي استطاع أن يصل إلى مغارات الثوار، ويزيدهم متكأ آخر تتكئ عليه صفوف جيش التّحرير ضد المستعمر، هي الثورة في حدّ ذاتها قبل أن تكون أحد أبرز دعائمها ضحت بالزوج وأنجبت للثورة شجعانا باسلين هي زينب التي مثلت كل الجزائريات المجاهدات المكافحات التي لم تفارقها الثورة ولا ذكراها رغم الحرية والاستقلال.

5- الثّورة وسؤال الإنسان في قصّة حديقة اللّه:

تحكي القصّة عن مأساة الكاتب عبد الباقي الذي أصبح مقعدا لا يتفاعل عضويا مع الحياة ولكن فكره لا يزال حيّا ينتج قصصا وكتابات تتساءل عن الموجودات والبشر، وتستفهم عن سرّ تمسّكهم بتفاصيل الحياة ودقائقها رغم فنائها، أصبح الكاتب ينظر نظرة زاهدة إلى الدنيا بعد أن أصبح يتكئ على رجل ثالثة تعينه على المشي لا اكثر ولا أقل، ولكن سخطه على بعض الأمور في الحياة لم يمنعه من أن يكتب ويكتب بلا ملل، ولكن مآل كتاباته هو التمزيق والإلغاء من عالم الكتابة الأدبية.

فرفضه للواقعدفعه إلى أن يتعقّل اكثر ويرتقي إلى حكيم بلا منازع " **فظروفه أصبحت ملكا له، في الوقت الذي أصبح الآخرون ملكا للظروف، لقد ملك الحياة نفسها، بعد أن صارعها كثيرا، وصارعته عدّة مرات، عدة مرات، أعتقد أنه سينتهي فوق طاولة العمليات الكثيرة التي أجراها له الطّب، يحدو الأمل دوما في الشّفاء التّام "**[15] وهذا النفور من مرارة الواقع ومقتضيات الحاضر دفعه إلى العودة بذكرياته متسائلا عن حقيقة الإنسان من خلال زمن الطفولة المندمج مع الثورة التحريرية وحياة المجاهدين، وحديقتهم التي كانت تعجّ بهم حيث اعتبرهم ملائكة العصر آنذاك، هناك الصّفاء والنقّاء عالم آخر كما يصوّره المتصوفة الذي يسْمون بالإنسان وصفاته إلى أعلى المراتب، ففي زمن الثور يوجد

الإنسان الحقيقي الذي لا ينبغي له أن يمرض حتى يعرف الكثير من الحقائق، هو وقت صافٍ والعودة إلى الثورة هل الحل حتى يتوه من نفسه ومن عجزه الجسدي فضلا عن عجزه الفكري الذي أضحى مهدّدا با لتمزيق كلّما دوّنته أنامله في الوريقات المؤقتة.

يحنّ عبد الباقي إلى أيام الثورة حين " **كان طفلا داخل الحقول الخضراء والسنابل الذهبية...صحبة أجمل الحيوانات وأرقها، الحصان الجامح والبقرة الحلوب، والكلب الأليف والعجل السّمين، طفولته كانت مع ديوان العجائز...فهذه تغزل برنوسا والأخرى تنسج فراشا، والثالثة تخبز خبزا في لون الذّهب، أو تفتل كسكسا في طراوة الزهرات الرّقيقة، كانت طفولته وكان شبابه هناك حيث تسكن الملائكة...كما كان يحلو له أن يطلق على الثوّار المجاهدين"** [16] كانت الحديقة أثر ضياء وراحة للكاتب الطفل واستطاعت أن تكون مكانا هادئا لجلّ الذكريات الجميلة، ينبهر بالثورة وبترابها النقي" يشتمّه كلّما أراد أن يجد ذاته الضائعة في وجود زائف لا يفقه له أي تعريف يليق به.

إلا أن عبد الباقي استطاع أن يجعل من الثّورة وزمنها خلاصا له ولشتاته الغامض الذي لم يفهمه أصدقاؤه الذين هزأ منهم، ومن نظاراتهم فهم لا يرون بها حقيقة الدّنيا ولا حقيقة أنفسهم، والمرآة الوحيدة لرؤية كنه الذات هي أيام الثورة المجيدة أين كان الأمل والحب والتفاؤل، وقيمة العطاء الذي قدّمه الثّوار للوطن هو الذي وسّع من العيش لم يضيّقه مثلما يحدث في حاضر البطل عبد الباقي الذي يحنّ إلى حديقة الله الجميلة أزهارها ثوار الثورة وأحواضها تروي العطشى في حاضره العليل.

خـاتمة:

يمكن القول بأنّ الثورة قد تجسّدت بافتراضية متطلعة نحو المستقبل في بعض قصص مجموعة الكاتبة زهور ونيسي التي اكتفينا بتحليل اثنتين منها من مجموع خمس قصص، وقد استطاع الأبطال أن يعتمدوها جسر عبور للوصول إلى أحلامهم وآمالهم، وتغيير حاضرهم الذي صار غائما وغير واضح المعالم.

كما تحوّلت من ماض قاس ومرير شهد أفظع أنواع العذاب التي مارسها المستعمر ضدّ الجزائريين إلى متنفّس يرجع إلى الشخصيات والقارئ على حدّ سواء الكرامة والنقاء وراحة البال التي يفتقدها جيل ما بعد الثورة.

وقد استطاعت الكاتبة أن تصوّر المرأة والإنسان وتبرز دورهما إبان الثورة وبعدها من خلال الوعي بها وبالوطنية وبالأنا التي يجب أن يحققها الإنسان مادام على قيد الحياة، وأن تقول بأن الثورة هي المعلّم الأكبر للإنسان وأعظم مدرسة عرف من خلالها حقيقة الحياة والموت معا.

قدّمت القاصة زينب مثالا حيا للتضحية بالغالي والنفيس لأجل الثورة ونجاحها، وجعلت من المثقف الكاتب أيقونة لحب الوطن والإيمان بالنجاح رغم الفشل والتحدّي رغم العجز الذي تجسّد في عدم قدرته على المشي كباقي أصدقائه لكن العيش مع حنين الثورة جعله يركض دون يأس ولا ملل نحو أفق الحياة الكريمة مع أبنائه الذي مثلوا أبناء الجزائر بوجه عام.

الإحالات والهوامش:

1- كيت ميتشل، التاريخ والذاكرة الثقافية، في الرواية الفكتورية الجديدة، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2015، ص45.

2- المرجع نفسه، ص49.
3- عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة - استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى جدار للكتاب العالمي، عمان - الأردن، ط1، 2009، ص161.
4- عبد الملك مرتاض، القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص41.
5- زهور ونيسي، الظّلال الممتدّة، قصص، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 8.
6- إنريكي أندرسون إمبرت، القصّة القصيرة، النظرية والتقنية، تر: علي إبراهيم علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2000، ص 31.
7- المرجع نفسه، ص117.
8- محمّد الهادي العامريّ، القصّة التونسية القصيرة، دار بوسلامة للطّباعة والنّشر والتوزيع، تونس، ط1، 1990، ص128.
9- زهور ونيسي، الظّلال الممتدّة، قصص، مصدر سابق، ص11.
10- المصدر نفسه، ص (13-14).
11- المصدر نفسه، ص18.
12- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.
13- المصدر نفسه، ص22.
14- المصدر نفسه، ص23.
15- المصدر نفسه، ص28.
16- المصدر نفسه، ص32.